

الخلاصة

لقد اكتملت فصول هذا البحث، وبدأت ترتسم ملامحه من فصل إلى آخر، وبعد كل هذا يدرك القارئ أهمية وروعة القرآن الكريم في جانب اختلاف القراءات القرآنية بين جمهور القراء، وبقية ممن رُدَّت عليهم قراءاتهم، من الجانب الشرعي؛ فلا اعتبار لقراءتهم، وقارئنا ابن مسعود من الذين لا يمكن التعبد بقراءتهم، لأنها في نظر علماء الدين مردودة، لسقوط شروط القراءة الصحيحة عنها. فجاءت هذه الدراسة محاولة منها كشف ما خفي من الجوانب اللغوية الأخرى التي تتوافق وقواعد اللغة العربية. وهذه الجوانب بمثابة إحدى النتائج التي توصل إليها البحث إضافة إلى جملة من النتائج الأخرى تختلف باختلاف موضع تفرد ابن مسعود.

فقد حاولت من خلال هذا البحث أن أضع معجماً خاصاً بابن مسعود، وذلك استناداً إلى معجم القراءات القرآنية لـ: عبد العال سالم مكرم واحمد مختار عمر، وذلك بذكر القراءة الصحيحة، أو قراءة الجمهور، ثم قراءة ابن مسعود دون بقية القراء قصد تسهيل الدراسة.

- وكان للمواضع الصوتية التي انفرد بها ابن مسعود؛ من إظهار وإدغام وإمالة وإبدال وكسر وضم لأوائل الحروف الأثر البارز في هذه الدراسة؛ إذ نجد في مواضع كثيرة ومتنوعة كيف يخالف ابن مسعود جمهور القراء، ويشذ عنهم - بالتالي - بقراءته؛ إما لكون قراءته متأثرة بلغة هذيل؛ قبيلته، كما حدث في: "حتى" - على سبيل المثال - حينما قرأها ابن مسعود بالعين "عتى"، أو كون ابن مسعود يعيد القراءة إلى الأصل اللغوي لها، كما في حالتي: الإظهار والإدغام، وقد جاءت قراءته موافقة في بعض الأحيان لقواعد اللغة العربية.

- وفي المواضع الصرفية، تتجلى مظاهر التفرد أيضاً لقراءة ابن مسعود؛ فهو حين يُدكَّرُ القراء بعض الكلمات نجده يؤنثها، سواء أكان ذلك هروبا من التذكير أو تأثراً لهجياً .

ويظهر جلياً - كذلك - وفي الصرف دوماً انفرد ابن مسعود في باب العدد عن بقية القراء؛ فهو يثنى، ويجمع، ويفرد في كلمات خالف فيها جمهور القراء، كما أنه يستخدم بعض صيغ الجمع في قراءته كصيغة: "فواعل" وهي مظهر تأثر لهجي كذلك.

- وفي المواضع المعجمية التي انفرد بها ابن مسعود وجدت أن كل قراءته مخالفة لسواد المصحف الإمام، فهو تارة مفسر، وتارة مغير لألفاظ، وتارة مغير للتراكيب، وكل هذا اعتبره المفسرون والنحاة واللغويون تفسيراً لا قراءة،

- كما استعمل الترادف في كلمات، ومردده لهجة هذيل، لأنها تحوي كلمات لها معان نفسها لكن بألفاظ مغايرة في لهجة قريش وماجاورها من لهجات قبائل الحجاز.

- كما أن التوجيه النحوي لقراءة ابن مسعود في جوانب استعمالاته المتعددة لا يعدو أن يكون تخريجاً نحويماً سليماً من الناحية اللغوية، وغير مناف لقواعد اللغة العربية، كما أن للأفعال التي استعملها ابن مسعود استعمال اللزوم، وهي في حقيقتها متعدية لا تخرج عن دائرة استعمال قبيلة "هذيل" لهذه الأفعال استعمال ما جاء في قراءة ابن مسعود، والأمر كذلك في حالة استخدام المتعدي مكان اللازم .

- لكن تبقى ظاهرة الإعراب أكثر الظواهر التي استوقفتني في هذا البحث، فابن مسعود حين يلجأ إلى رفع أسماء، وغيره من القراء ينصبها، فهو يرفعها طبقاً لقواعد لهجة قبيلة هذيل، سواء عن طريق القطع أو الاستئناف أو العطف، وتنطبق الملاحظة نفسها في حالة النصب والجر، لكن هذه الأخيرة أي ظاهرة الجر نجد أن ابن مسعود كثيراً ما يلجأ إلى تعدي الأفعال اللازمة بحرف الجر أو بالإضافة، ويعزو بعض النحاة هذه الظاهرة إلى قبيلته.

- وتأتي ظاهرة التقديم والتأخير "الترتيب" في قراءة ابن مسعود كذلك لتأخذ نصيبها من الدراسة، وهي لا تتعدى أن تكون تقديم كلمات عن كلمات أو جمل عن جمل أو تأخيرها بحسب المعنى الذي أراده ابن مسعود وذلك قصد إيجاد فواصل منسجمة، كما أن بعض

الحروف التي يضيفها- أو الكلمات-في قراءته تجعله يشذ عن المصحف الإمام، لكنها من جانب آخر تزيل الغموض واللبس الذي قد يعترى بعض القراءات، وعليه فإن بعض هذه الزيادات التي استخدمها ابن مسعود بمثابة التفسير لا القراءة.

- أما ظاهرة الحذف فهي أقل الظواهر حدوثاً في قراءة ابن مسعود، وقد يكون حذفه لبعض الحروف أو بعض الكلمات غير مؤثر من الناحية الإعرابية أو اللغوية، أما من الناحية الدينية فهو-أي الحذف- غير مقبول، كما اسقط عبد الله عمل بعض الأدوات والحروف في قراءته، إلا أن ذلك لم يؤثر من الناحية اللغوية.

- وخالصة كل هذا، فإن قراءة ابن مسعود وتوجيهها اللغوي المتعدد الذي جاء في مضامين هذا البحث، إنما تناولتها من جانب الدراسة اللغوية لا الشرعية، لأن علماء الفقه والأصول فصلوا في هذه القضية منذ قرون خلت، لكن هذه المحاولة جاءت لكي تضاف إلى المحاولات السابقة التي تطرقت إلى قراءات بعض القراء، كقراءة الحسن البصري، وقراءة عاصم مثلاً.

وهذا البحث- كما أردت له- عبارة عن إعادة الاعتبار لقراءة الصحابي عبد الله بن مسعود من الناحية اللغوية، وتوجيهها وفق ما اقتضته علي ضرورة وطبيعة المادة العلمية المكونة للقراءة، وقد أسلفت ذكرها بين التباين والإيجاز والتفصيل بحسب كل فصل بين النظري والتطبيقي، وكذا بين التوفيق وربما الحياد دون قصد.

هذا هو بحثي، قدمته بالطريقة التي يمكن أن تسهل عملية توجيه القراءة، وأعلم أنه لم يأت بالكثير، لكن يبقى هذا البحث محاولة جديدة تكشف عما خفي في تراثنا اللغوي، وبخاصة في مجال القراءات الشاذة، وليأت من بعدي من يكمل بعض جوانب هذا الموضوع. والله أسأل التوفيق والسداد، فهو نعم المولى ونعم النصير.